

تنظيرات ومقارنات حول : فضحى العامية في المغرب والاندلس

الأستاذ عبدالعزیز بنعبداللہ

فقال : (لعل الدخيل كان نادرا في أرض الاندلس لان الامويين توخوا الوحدة في كل شيء) الى ان قال : « وكانت اللهجة الاندلسية من اجمل اللهجات نقلها اهلها بعد الجلاء الى البلاد التي نزلوها : مراكنش والجزائر وتونس ومصر والشام ولعلها كانت لقرىها من الفصحى اشبه بلهجات اليمن والحجاز ، والاندلس استعملت الفاظا فصحة ما استعملها المراق ومصر والشام » .

ونريد ان نقصر اليوم تنظيراتها على لهجتى المغرب والاندلس لنأخذ من خلال هذه المقارنات كيف ان لهجة المغرب كانت أقرب الى الفصحى منذ القرن الرابع الهجري وسيكون مصدر بحثنا كتاب « لحن العوام » للعلامة اللغوي الكبير ابن بكر محمد بن حسن ابن مدحج الزبيدي (316 هـ - 379 هـ) وقد صدر هذا الكتاب (عام 1964) في سلسلة كتب « لحن العامة » باشراف الدكتور رمضان عبد التواب استاذ الاداب بجامعة عين شمس .

والزبيدي هذا اشبيلي اندلسي أصله من حمص الشام وهو من تلامذة ابن علي القالي البغدادي في اللغة والشعر روى عنه كثيرا في كتابه « لحن العوام » ومن تلامذة الزبيدي اسماعيل بن سيده والد علي ابن سيده المشهور صاحب « المخصص » وقد وصف الزبيدي في كل من « طبقات ابن شهبة (2 / 37) والوافي بالوفيات (3 / 251) بأنه « شيخ اللغة

سبق ان نشرنا دراسة واسعة عن « الاصول العربية والاجنبية للعامية المغربية » منظرين بين فصحى العاميات في كثير من الاقاليم والاقطار العربية (سوريا - لبنان - مصر - الخليج العربي) وقد ركزنا خاصة على المقارنة بين اللهجة الدارجة في المغرب واللغة الفصيحة وضرينا مات الامثلة للدلالة على اصالة عاميتنا وقد عثرنا في كتب اللغة القديمة بعد صدور ذلك البحث على عدد كبير من المفردات التي حرفتها العامية تحريفا يسيرا والتي ترجع الى صلب الفصحى وبعضها بالذم من أعماق اللسان الجاهلي الذي عدل من استعماله في العصر الحاضر وزدنا تركيزا لهذه الفكرة بفرب مثل حي باللهجة الواجبة في ناحية زعيم الواقعة على ابواب عاصمة الرباط مما يدل على ان الدخيل في العامية المغربية كان قليلا اذا استثنينا مجموعات ضئيلة انتقلت من طريق الفصحى من الفارسية وفي اليهود الاخيرة من الاسبانية والفرنسية وقد قمنا بمحاولة جريئة استهدفنا بها استخلاص بعض القواعد التي درجت عليها اللهجة العامية المغربية في جولاتها قياسا على الفصحى وعلى بعض العاميات في البلاد العربية وبالاخص سوريا واذا استعرضنا المفردات الاندلسية التي وصلت اليها معرفة من اصلها العربي وجدناها أقرب في بنيتها وشكلها من دارجة المغرب فالدخيل فيها قليل وقد تحدث الاستاذ الكبير كرد علي عن « عجائب اللهجات » (1)

- 2 (2) دشيش .. والصواب جشيش (20) .
- 3 (3) يقولون لواحد الذبان ذبانة .. والصواب ذباب (31) .
- 4 (4) يقولون للنبت الكثير الشوك المنبسط بالارض خرشف .. والصواب حرشف (ص 37) .
- 5 (5) يقولون لشجر يكون في الجبال عرعار .. والصواب عرعر (ص 48) .
- 6 (6) يقولون حنن يده .. والصواب حنا يديه (ص 52) وهو المستعمل عندنا بالمغرب الاقصى وبذلك يكون المغرب هنا اقرب الى الفصحى من الاندلس .
- 7 (7) ويقولون للنبت الذي يصبغ به الشباب فوة (بالفتح) .. والصواب فوة (بالضم) (ص 63) (مثل المغرب) .
- 8 (8) قرنفل بضم الراء .. والصواب قرنفلس (بالفتح) (ص 64) .
- 9 (9) يقولون فلان مدهول .. والصواب ذاهل (ص 65) وهو المستعمل بالمغرب .
- 10 (10) ويقولون لواحد الكلى كلوة .. والصواب كلية (ص 67) .
- 11 (11) ويقولون للظرف الذي يوضع فيه افواه المطر واصناف الحلبي حكة .. والصواب حق (ص 68) (حك بالمغرب) .
- 12 (12) ويقولون مقذاف السفينة .. والصواب المجذاف (ص 69) .
- 13 (13) ويقولون حلقة للنبت الذي يتخذ منه الجبال .. والصواب حلقة (بالتحريك) (ص 70) .
- 14 (14) ويقولون للانهاء المتخذ من الصفر سطل .. والصواب سيطل (ص 75) .
- 15 (15) ويقولون للحديدة التي يقطع بها ويحلق موسى ويعودون فيجمعونها امواسا .. والصواب موسى (ص 78) .

والعربية بالاندلس « كما لقبه الفتح بن خاقان (2) بامام اللغة والاعراب وابن خلكان (3) ب « أوحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة » وهو أيضا في نظر الثعالبي (4) « أحفظ أهل زمانه للاعراب والفقه واللغة والمعاني والنوادر » وقد لخص المقرئ هذه الانظار كلها بقوله (5) : « هو في المغرب بمنزلة ابن دريد في المشرق » .

وقد كتب الكثير في اخطاء العوام والخواص ونجتزئ الآن بذكر اربعة كتب مخطوطة في دار الكتب المصرية منها :

- 1 (1) درة الفواص في اوهام الخواص للقاسم بن علي الحريري (516 هـ) مع تكملتها لابن منصور الجواليقي (540 هـ) .
- 2 (2) رسالة في اغلاط العوام للسيوطي (911 هـ) مرتبة على حروف المعجم .
- 3 (3) التثبيح على غلط الجاهل والنيبه لابن كمال باشا أحمد بن سليمان (940 هـ) (معجم رقم 348 لفة) .
- 4 (4) « تقويم اللسان » لابن الجوزي (597 هـ) وقد نشرنا قسما منه في العدد الاخير من مجلة « اللسان العربي » وصدر كاملا باشراف المجمع العلمي العربي ببغداد كما سبق أن نشرت مجتئنا « اللسان العربي » (العدد الثاني) دراسة حول العامية في « المغرب والاندلس » استعرضت المصنفات المغربية في هذا المجال « كانشاد الضوال وارشاد السؤال » (6) ويتضح من مائة مثال اوردها الزبيدي في كتابه بالنسبة للقرن الرابع الذي هو العصر الفني في حقب تطور اللغة العربية - ان الكثير من الفاظ العامية المغربية اقرب الى اللسان الفصيح - بنينة وشكلا - من الدارجة الاندلسية :

وهاكم هذه الامثلة :

- 1 (1) بزيم للحديدة التي تكون في طرف حزام السرج او المنطقة .. والصواب ابريم (ص 15) .

- 2 (2) مطمح الانفس 53 / 23 .
- 3 (3) وفيات الاعيان 1 / 514 .
- 4 (4) يتيمة الدهر 1 / 409 .
- 5 (5) نفع الطيب 5 / 24 .
- 6 (6) سماء السيوطي في بغية الوعاة ص 82 بلحن العامية .